الوحشيّة الأوروبيّةُ في الحَربين العالميّتين: الأوَّلى والثَّانية

■ د. مثقال العاصي[1]

ملخّص

رصدَ هذا البحثُ، المظاهرَ التي برزت في أفعال الأوربيين الوحشيّة خلال الحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية، وكُلُّ سلوكٍ عسكري ارتكبه الأوروبيُّون في الحربين العالميّتين، حيث هدف البحث إلى إظهار النّموذجِ الأوروبي الوحشيّ على حقيقته عاريًّا، من خلال الممارسات المرتكبة على المدنيين والعسكريين، وتبيان مدى الحقد والكراهيّة عند الأوروبيِّين، والتي أدَّت إلى تدمير البُنى التحتية بكُلِّ أنواعها.

هذا، واعتمد البحث في معالجة القضايا والأفكار التي تمَّ طرحها، على المنهج الوصفيّ التّحليلي، حيث توصَّلَ إلى نتائج أظهرت صور الوحشيّة الأوروبية بكل أنواعها وأساليبها في الحربين العالميّتين، ولربمّا كان أبرزها، سقوط عدد كبير من الأبرياء، بسبب الغازات المُحرمة دوليًّا، والإبادات الجماعية، وما رافق ذلك من نهب وسلب ومجاعات، زادت في أعداد المشردين في الدُّول الأوربية، وقد ذُيل البحث بتوصيات كان أبرزها: إقامة مؤتمرات وندوات تعريفية بالحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية، توضح مدى خطورة الوحشيّة الأوروبية التي مُورست بحقّ الإنسانيّة في القرن العشرين، وتظهر كذب الأوروبيين في ادّعاء الديموقراطية ونشر الحرية والإنسانيّة كما صوروها لنا.

الكلمات المفتاحية: وحشيّة-أوروبا- الأسرى- الحربان العالميَّتان- الإبادة الجماعيّة.

1 - مدرّس في قسم التّاريخ، جامعة حلب، سورية.

مقدّمة

يرصدُ هذا البحث، المظاهر الوحشيّة التي برزت في أفعال الأوروبيين خلال الحربين العالميّتين، الأوَّلى والثَّانية (1914-1918م/1939-1945م). وقد ظهرت على مستويين: الأوَّل: عسكري، وفيه تمَّت الإشارة إلى كُل سلوك أو فعل عسكري ارتكبه الأوروبيُّون خلال الحربين الأوَّلى والثَّانية، من استخدام للأسلحة المُحرَّمة دوليًّا، وإبادة جماعيّة للبشر، وتعذيب الأسرى، بأقصى صور البشاعة والفظاظة، واعتقالات بطريقة وحشيّة وفوضويّة، لا تمتُّ بأيِّ صلةٍ إلى الإنسانيّة.

أمَّا في المستوى الثَّاني، فهو الاجتماعي، ويظهر لنا الانحطاط الأخلاقي بأبشع صوره، متمثلاً في قتل الأطفال والنساء بلا رحمةٍ ولا شفقة، وتدمير البنى التحتيَّة والمرافق العامّة، تدميراً شاملاً، يُظهر مدى الكره والبُغض الأوروبي للآخر. كما يُبرز الانحطاط والانحدار الأخلاقيَّين في تدمير البُنى الثقافيَّة والعلميَّة، وزرع الخوف والرُّعب في قلوب النَّاس عامَّة، ونهب الأموال والثروات بدون أيِّ حقٍّ، ومن دون أيّ رادعٍ إنسانيٍّ أو دينيّ، كلّ ذلك، سيكشفه هذا البحث ويظهره على أكمل وجهٍ وأتمِّ صورةٍ.

المبحث الأوَّل: بواعث الحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية

يحسن بنا بداية، أن نُحدِّدَ الدُّول التي شاركت في الحربين العالميّتين، إذ كان من أبرز الدُّول الأوروبية الرَّئيسة المشاركة في الحرب العالميّة الأوَّلى (1914 - 1918م)، بريطانيا وفرنسا وإيرلندا وروسيا، وقد أطلق عليها تسمية الحلفاء، أو دول الوفاق، التي واجهت دول المِحور، وهي: ألمانيا والنَّمسا والمجر وبلغاريا.

أما الدُّول الأوروبية الرَّئيسة المشاركة في الحرب العالميّة الثَّانية (1939 - 1945م)، فكانت: فرنسا وبريطانيا، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أطلق عليها دول الحلفاء، أما دول المحور، فهي ألمانيا وإيطاليا، بالإضافة إلى اليابان. أمَّا فيما يتعلَّق بالبواعث التي دفعت هذه الدُّول إلى الاقتتال فيما بينها، فيمكن إجمالها بما يأتي:

المطلب الأوَّل: الدوافع الاقتصادية

ممَّا لا شـكَّ فيه، أنَّ جميعَ الحروب التي خاضتها البشريّة، كان أبرز دوافعها الدَّافع الاقتصادي، فلا يمكن أن تقومَ قائمةٌ لحرب، مـع تجاهل الجانب الاقتصادي لها، فالثَّورة الصّناعية وتقدمها في أوروبا - على سـبيل المثال- أدَّت إلى توسيع النزعة الاستعمارية عند الدُّول الأوروبية، التي أخذت تُفكِّر في تأمين أسـواق تجارية لبيع منتجاتها، وفي الوقت عينه، أخذت تبحث عن مصادر أسـاس للمواد الأوَّلية، واسـتثمار رؤوس الأموال، من خلال امتلاك المسـتعمرات خارج أوروبا لتصريف منتجاتها، الأمرُ الذي تسـبَّبَ في نزاع بين القوى المسـتعمرة، أدَّى إلى قيام الحربين[1].

المطلب الثَّاني: السَّيطرة وتوسيع النفوذ

إنَّ القارئَ للتاريخ والمُتمعن في حوادثه، يلاحظ أنَّ معظمَ الدُّول الاستعمارية، تبحث عن مناطق لتوسـيع نفوذها على حسـاب بعضها البعـض، وهذا ما أدَّى فيـما بعد إلى تنافس بـين هذه الدُّول الاسـتعمارية. ففي الحـرب العالميّة الأوَّلى لوحظ على ألمانيا أنَّها دخلت الحرب لتوسـيع نفوذها بالدرجة الأوَّلى، فتقرَّبت من السلطنة العثمانية في المشرق العربي، وأخذت تُنافس فرنسا وبريطانيا هناك، حيث حصلت على امتياز مد سكة حديد برلين- بغداد وصولاً إلى الخليج الفارسي[2]، خاصة بعد أن أصبحت ألمانيا -بداية القرن العشرين- تتمتع باقتصاد قوي على المستوى الأوروبي، وأخذت تبحث عن أسواق لتصريف إنتاجها، فتنافست مع الدُّول الأوروبية خارج أوروبا ولاسيما مع بريطانيا، التي تعدُّ الدُّولة الأقوى اقتصاديًا في العالم آنذاك[3].

وفي الحرب العالميّة الثَّانية، لوحظ على ألمانيا أنَّها كانت تتطلع إلى السَّيطرة على أوروبا، لردِّ خسارتها في الحـرب العالميّة الأوَّلى أمام فرنسـا وبريطانيا. وهو ما اتّضح في إقدام ألمانيا على احتلال النَّمسـا وتشكوسـلوفاكيا وفرنسا، ومحاولة احتلال بريطانيا في الحرب العالميّة الثَّانية، هذا، بالإضافة إلى قيام الفاشية في إيطاليا، والنَّازية في ألمانيا وسياستهما التي تهدف إلى السَّيطرة والتوسع لاستعادة قوتهما، إذ حاولت ألمانيا على وجه الخصوص، تغيير شكل العالم بما يصبُّ في مصلحتها الاستعماريّة[4]، حيث

1 - الحسيني، 2011، ص6
2 - آل طويرش، 2017، ص22
3 - نوار وآخرون، 1999، ص452 - 454
4 - آل طويرش، 2017، ص115

لجأت إلى القوَّة العسـكريَّة لتحقيق جميع مطالبها، مستخدمة في الوقت عينه، جميع وسائل الوحشيّة ضد المدنيين والعسكريين والأطفال الأبرياء، في جميع المناطق التي سيطرت عليها في أوروبا.

المبحث الثَّاني: وحشيّة الأوروبيين على المستوى العسكري

لعلنـا، لا نُجانب الصواب إذا قلنـا: إنَّ الحربَ العالميّة الأوَّلى، كانت أول حرب اسـتعملت فيها الأسلحة الكيماوية، وتمّ فيها قصف المدنيين بالطائرات الحربية لأول مرة في التاريخ، ووقوع ضحايا بشرية لم يشهدها التاريخ من قبل. ومن جهة أخرى، غيَّرت الخارطة السياسية لأوروبا، حيث اختلفت معالم الحدود بين الدُّول على حسـاب دول أخرى[1].

ويُشـار في هذا الصـدد، إلى أنَّ الحربَ العالميّة الأوَّلى، شـكَّلت النواة الرَّئيسـة للحرب العالميّة الثَّانية. كما أخذت الحربان شـكلاً جديدًا في أسـاليبهما الحربية، ولا سيّما ما حصل من تطور هائل في التكنولوجيـا الحربيّة، فكان لذلك وقعه المُفجع، حيث حصد ملايين الأرواح من الأبرياء، نسـاءً وأطفالاً. ومن اللّافت في هذه الحرب أنَّ سـاحاتها كانت المدن، على العكس من الحروب السَّـابقة التي كانت تجري أحداثها خارج المدن، وهذا ما جعل الفاجعة أشـدّ وأقوى.

فيما تُعدُّ الحرب العالميّة الثَّانية، من أكثر الحروب دموية وتخريبًا للبنى التحتية في تاريخ البشرية، لاتساع بقعة الحرب، وتعداد مسارح المعارك والجبهات، حيث شارك في هذه الحرب أكثر من (100) مليون جندي، فكانت الخسائر في الأرواح كبيرة وبالغة، وحصدت بمناجلها الفتاكة حوالي (70) مليون نفس بشرية بين عسكري ومدني[2].

ولابدّ هنا من وقفة متأنية، نُزيح فيها الستار عن جرائم الأوروبيين التي ظهرت باستخدام أنواع متعددة ومتطورة وخطيرة من الأسلحة، من خلال التفصيل التالي:

المطلب الأوَّل: اسـتخدام الأسـلحة المُحرَّمة دوليًّا

استخدمت في الحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية، أقوى الأسلحة وأخطرها فتكًا بالبشرية، من دون أيِّ رحمة أو شـفقة، ولم يؤخذ بالحسبان النتائج المترتبة على استعمال تلك الأسلحة، وجدير بنا أن

1 - Kesternich, I. 2012, p2

2 - معدّي، 2011، ص5-6 و23

نشيرَ إلى أنَّ أخطرَ تلك الأسلحة على البشرية كان استخدام غاز الخردل المعروف، والذي استخدمته القـوات الألمانيّة في مواجهة القـوات البريطانية، إذ لم تنفع الأقنعة الغازيـة في حماية البريطانيين، فأصيب الجنود بالغثيان وتوفي كثير منهم.

ومن الغازات السـامة القاتلة التي استُعملت في الحرب، غاز الباسيلي، وهو غاز يسبب جرثومة عضويـة تـؤدي في النهاية إلى الغرغرينـا الغازية، ثم بتر وتشـويه وإغماء. كما اسـتخدم الألمان والفرنسـيون ضد بعضهم البعض في الحرب العالميّة الأوَّلى في نيسـان عـام 1915م، ولأول مرة، غازالكلور، وهذا الغاز يُؤدي إلى توقف القدرة على التنفس، الأمرُ الذي تسبَّب آنذاك بقتل المئات من الجنود[1].

أضـف إلى ذلك، أنّ غـاز الكلور يسـبَّب – أيضًا- الذعـر في صفوف الجيش، وقـد أفقد الجنود الإحسـاس بالمكان والزمـان، بالإضافة إلى العمى الذي رافق هذه الإصابـات، وغيَّر في لون الجلد، بين الأسـود والأخضر والأزرق. حيث كانت ألسـنة الجنود في الحرب متدلية إلى الخارج، وعيونهم محدقة، وكان بعض الجنود يسـعل فيخرج زبدًا أخضر اللون من رئته. وغيرُ خافٍ على أحدٍ الوحشيّة التي ارتدى ثوبها كل من اسـتعمل تلك الغازات السـامة القاتلة، ففتك بالجنود والمدنيين أيمَّا فتكٍ، وخرج من دائرة البشرية إلى دائرة أخرى بعيدة كلَّ البُعد عن الإنسانيّة[2].

علاوة على هذا كله، فقد تمَّ في الحرب العالميّة الثَّانية، إسقاط الآلاف من القنابل الحارقة المتفجرة على المدن البريطانيّة والألمانيّة، حيث صُمِّمت تلك القنابل على أن تُعبّأ بمواد كيمياويّة قابلة للاحتراق، كالمنغنيزيوم أو الفوسـفور لإضرام النَّار في المنازل، وذلك عن طريق زيادة درجة الحرارة الشديدة[3]، وهذا كله، يدلُّ أيمّا دلالة على بعض مظاهر الوحشيّة التي تجلَّت في استخدام أنواع كثيرة من الغازات السامة، التي أبادت البشر والحجر معًا.

ومن صور اسـتخدام الأسـلحة الغازية لقتل الأسرى، اسـتخدام إبر الغاز، في المعسـكرات لقتل أسراهم، فكان المريض (الأسـير) يُحقن بإبرة واحدة وهي تكفي لقتله[4].

---

1 - هايمان، 2011، ص-152 159

2 - هايمان، 2011، ص60

3 - آدامز، 2011، ص22

4 - شيرر، 1963،ج4، ص70-71

المطلب الثَّاني: صور من الإبادة الجماعيَّة خلال الحربين العالميّتين

لا ريب في أنَّ الإبادة الجماعيّة، تعتبر واحدة من الجرائم الأكثر وحشيّة وأقساها على الإطلاق على المستوى الدُّولي، فهي تُؤثِّر في حياة البشر ونسلهم وثقافتهم، كما أنَّ أفعال الإبادة الجماعيَّة التي تصيب جماعة من المدنيين أو العسكريين، تربط بينهم روابط معينة (عرقية- قومية) تمثل أقصى درجات الوحشيّة. كما تُشكِّل الإبادة نوعًا من الأمراض النفسيّة، تُبرز أخطر ما في النفس البشريَّة من همجيَّة.

ولا يخفى على أحدٍ أنَّ إبادة الجنس البشري هي إنكار لحقّ وجود الجماعات البشرية كلّها، فالقتل يعكس بصورة واضحةٍ وجليّة، إنكار حق الوجود لتلك الجماعات، وهذا الإنكار يتنافى مع الضمير العام، ويصيب الإنسانيّة بأضرار جسيمة لا يمكن لذي بصيرة أن يتحمَّلها[1].

لقد كان هناك سلسلة من جرائم الإبادة الجماعيَّة ارتكبت بحقّ الجنس البشري في الحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية، التي لا بدَّ من الحديث عن صورها، والتي شعر جميع البشر بلهيبهما، وقد استمرت سنوات طويلة، لقي فيهما مئات الآلاف من الناس مصرعهم، بارتكاب أفظع جرائم الحرب، فمن صورها في الحرب العالميّة الأوَّلى، نذكر منها ما قامت به ألمانيا في آب 1914م، من إبادة جماعيّة بحقّ خمسة آلاف بلجيكيٍّ في مقاطعة لوكسمبورج، ونامور. كما أعدمت ألمانيا في قرية ليف مئتي بلجيكي، وكان معظم من أبادتهم ألمانيا هم من الأسرى الفرنسيين، وهذا يُعدُّ جريمةً ومخالفةً لكلِّ الأنظمةِ والقوانين والتَّشريعات الدُّولية[2].

ونضرب مثالًا آخر يُوضّح الوحشيّة والهمجية الأوروبية، والإبادة الجماعية، تمثّل في قصف مدينة درسدن الألمانيّة من قبل الحلفاء في شباط عام 1945م، والتي تُعد من أخطر معارك الحرب العالميّة الثَّانية، حيث تسببت القنابل المتفجرة، في اندلاع عاصفة نارية قضت على المباني كلها، وتسببت في مقتل (بين 30 و60) ألف مدني، وقد أدان الكثير تلك الغارة على المدنيين، وعدوها من جرائم الحرب البشعة، علمًا أنه لا توجد أهداف عسكرية في المدينة[3].

ويُشار في هذا الصدد، إلى استخدام المدنيين في الحرب العالميّة الثَّانية، دروعًا بشرية في ساحات الحرب غير مرة، وهذا لا شك يؤدي إلى إبادة جماعية للبشر بصورة مختلفة عمَّا سبق، كما تشير

1 - كلثوم، 2013، ص9

2 - هايمان، 2011، ص265

3 - آدامز، 2011، ص23

التقارير أنّ ثُلثي الذين قتلوا كانوا من المدنيين، حيث استخدمت أكثر الأسلحة حداثة في ذلك، فتمَّ إبادة شعوب مختلفة على الأراضي الأوروبية[1].

وهكذا يظهر لنا أنَّ الإبادةَ الجماعيَّة للبشر اتخذت صورًا متنوعة، تدلُّ دلالة واضحة على تجذُّر الوحشيّة في نفوس الأوروبيين التي لا تعرف شفقة أو رحمة، على العكس تمامًا، ممَّا تدَّعيه تلك الدُّول من أنها الأكثر حضارة وإنسانية على مستوى العالم. فما الدَّافع أو المُبرر لتلك الممارسات، هل هي ردود أفعال، أو محاولات لقلب الهزيمة إلى نصر؟

المطلب الثالث: تعذيب أسرى الحرب

إنَّ المتأملَ في الغرب الأوروبي خلال الحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية، يلاحظ أنّ الغرب فقد السلام، واختفى منه الهدوء والأمان، وسادت الفوضى والاضطرابات أرجاء البلاد، وكثرت الاعتقالات، وأصبح الغرب عالمًا لا يمتُّ إلى الإنسانيّة بشيء، فألمانيا وحدها في الحرب العالميّة الأوَّلى أسرت حوالي (535) ألف فرنسي، و(170) ألف بريطاني، و(4) آلاف أمريكي، وحوالي (3) آلاف روسي، بينما أسرت فرنسا حوالي(350) ألف ألماني، فيما أسرت القوات البريطانية حوالي (328) ألف ألماني هي الأخرى، وهنا بدأت المعاناة في المعسكرات كافة، فكان الأسرى يُركلون بالأرجل بقسوة ووحشيّة، ويضربون بأعقاب البنادق، ويعملون في حفر الخنادق ودفن الجثث، على شكل مقابر جماعية. أضف إلى ذلك، جعل الأسرى مطية لحمل الذخائر وما يحتاجه الجيش من مؤن[2].

لقد عانى الأسرى كثيراً في المعسكرات، فكان يصعب تأمين الأكل والشرب لهم، أما المأوى فعبارة عن خيم لا أكثر، أما أماكن الاستحمام فحدث ولا حرج. فقد كانت بدائية، تفتقر إلى أدنى مقومات الإنسانيّة، إذ تفرض على الأسرى البقاء شهورًا دون الحصول على فرصة واحدة للنظافة، فكثر القمل والجوع والموت في تلك المعسكرات، وكان مصير معظم الأسرى، الموت أو الترحيل إلى مناجم الفحم، التي تُعدُّ مرحلة انتقالية إلى الموت هي الأخرى. فكثيرٌ من الأسرى كانوا يُعلَّقون بالحبال من أرجلهم لساعات طويلة، وكان الجوع دائمًا حاضرًا، فكانوا يتألمون من شدة الجوع حتى وصل بهم الأمر إلى إجبار أنفسهم على التقيؤ، لتخفيف الألم، لكن دون جدوى[3].

1 - معدي، 2011، ص28

2 - هايمان، 2011، ص208

3 - هايمان، 2011، ص219

ومن صور التعذيب التي رافقت الأسرى، ما كان يعانونه في أثناء ترحيلهم ونقلهم بين المعسكرات، فقد كانوا يُنقلون من مراكز مؤقتة إلى دائمة بالقطارات، وكانت مدة التنقل تستغرق يومين على الأقل، وخلال هذين اليومين تظهر صور التعذيب والمعاناة، فلا يحصلون على أي طعام أو الشراب، وكانت الحمامات لقضاء الحاجة على شكل حوض في منتصف عربة القطار، وأحيانًا هناك عربات خالية تمامًا منها، فكان معظم الأسرى يستخدم زوايا العربات لقضاء حوائجهم[1]. وهذا بحدِّ ذاته يُشكِّلُ صورةً بينةً لمعاناة الأسـير في حرب أكلت الأخضر واليابس، وغيَّرت مفاهيم الحضارة الإنسـانيّة.

المبحث الثالث: وحشيّة الأوروبيين على المستوى الاجتماعي

المطلب الأوَّل: الانحطاط والانحدار الأخلاقيان

لم تقتصر الحربان العالميتان الأوَّلى والثَّانية على إظهار أنواع الوحشيّة على الجنود الأسرى فحسب، بـل تعدَّت ذلك لتصلَ إلى النسـاء والأطفـال، الذين لا ناقة لهم في الحـرب ولا جمل، فمن صورها المؤلمـة في الحرب العالميّة الأوَّلى، تعرُّض الفتيات الفرنسـيات للتحـرش الجنسي من قبل الجنود الألمان، هذا بالإضافة إلى قيام الألمان في مناطق الاحتلال الفرنسي بعلاقات جنسية عنيفة مع النساء الفرنسـيات، ممّن فقدن أزواجهن في المعارك، فكثرت المواليد غير الشرعية نتيجة لذلك[2].

ومن صور الوحشيّة الأوروبية أيضًا، ما قامت به دولة التشيك في 30 أيار من عام 1945م، بحق النساء والأطفال الألمان، إذ أعلنت دولة التشيك طرد الألمان من مدينة (برون)، فطلبوا من المواطنين الألمان وخلال ساعة أن يغادروا المدينة، على أن يحمل كل واحد منهم حقيبة واحدة فقط، وأجبرت النساء على تسليم مقتنياتهن كافة من الجواهر والذهب والفراء، وقد سيقوا بعد ذلك إلى حدود النَّمسا التي رفضت اسـتقبالهم، فوضعوا في حقل تحول إلى مركز اعتقال فيما بعد، حيث مكثوا هناك عدة أشهر، فانتشرت بينهم الأمراض ولاسـيما حمى التيفوئيد (الحمى النمشـية) التي أودت بحيـاة معظمهم. وهي عملية قتل متعمدة وممنهجة ومخطط لها من قبل التشـيك للقضاء على الألمان الموجودين على أراضيها[3].

1 - هايمان، 2011، ص211
2 - هايمان، 2011، ص269
3 - شو، 2017، ص127

ويلاحظ في هذه الصورة، الفكر الهمجي الذي خطط ونفذ أبشع الجرائم الوحشيّة بحق الألمان، ولربما كان هذا نوعٌ من ردِّ الدين، الذي مارسته ألمانيا بحق الشّعوب الأوربية.

وفي مدينة (أوستي) التشيكية أيضًا، وفي شهر تموز من العام 1945م، أُلقي بالنساء والأطفال من فوق جسر المدينة إلى النهر من قبل القوات التشيكية، وقُتل الألمان رميًا بالرصاص في شوارع تلك المدينة، وقُدِّرَ عددُهم بـ(2000 إلى 3000) شخص آنذاك. ومن بقي حيًّا من الأطفال والنساء في المعتقلات، تمّ نقله بالقطارات من قبل القوات التشـيكية، وكانت الرحلة شاقة حيث استغرقت أيامًا، تعرَّضت النساء خلالها لمضايقات الجنود والسرقة والاغتصـاب، أمَّا الأطفال الذين ماتوا جوعًا فكانت تُلقى جثثهم من نوافذ القطارات بلا رحمة ولا إنسانية[1].

ومن صور معاناة الأطفال خلال الحرب العالميّة الثَّانية، إحراق منازل المواطنين أمام أعينهم (تذكرنا بقيام الاحتلال الاسرائيلي بتدمير منازل الفلسـطينيين أمام أعينهم)، في وقت كان قد استدعي آباؤهم للقتـال، وذهبت أمهاتهم إلى المصانع قـسرًا، فعاش كثير من الأطفال تحت تهديد الغزو وغطرسـته المتعجرفـة، وجلبت الحرب خوفًا ورعبًا للأطفال على وجه الخصوص، فقد كانت الحرب سـببًا في تعاستهم، فأبعدتهم عن أبسط حقوقهم في التعليم والعيش الكريم[2].

ونشـير إشـارةً أخيرةً - في هذا الصدد- إلى أنَّ كثيراً من الأطفال كانوا بعيديـن عن عائلاتهم نتيجة القصـف والدّمار، أضف إلى ذلك، إنّ الغارات الخاطفة التي قامت بها الطائرات، قد هجَّرت الآلاف من الأطفال وأجبرتهم على العيش مع أسر بديلة في الريف أو حتى خارج البلاد[3].

ويتضح لنا ممَّا سبق، أنَّ الحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية، دمرتا النواة الأساسية في بناء المجتمع وتكوينه، ألا وهي النسـاء والأطفال، حيث ارتكب الأوروبيُّون بحقهما وبحق أنفسهم، أفظع الجرائم البشرية في القرن العشرين، التي لم ولن يُسجلها التاريخ عبر العصور.

المطلب الثَّاني: تدمير البُنى التعليمية والثقافية

لقد ذاقت أوروبا كلها ويلات الحربين وسـمومهما، وتجرَّعت كؤوس القتل والتدمير بكل أنواعه،

1 - شو، 2017، ص127
2 - شيرر، 1963، ج4، ص28
3 - آدامز، 2011، ص36

وقد تأثرت الحياة المدنية بهما، وتوقف شريان الحياة في مفاصل الدُّول التي شاركت بشكل رئيس في الحرب، إذ القت الحرب بظلالها السوداء على البُنى الثقافية والمؤسسات التعليمية والمدارس آنذاك[1].

لم تسلم المدارس والمؤسسات التعليمية بكل أنواعها من لظى الحرب العالميّة الأوَّلى وحرها، إذ كانت قنابل الطائرات تتساقطُ على المدارس والكنائس والمشافي بمن فيها، والحقيقة أنه ليس بمقدور بضع كلمات أن تُصور شـقاء الأمم الأوربية ومآسـيها خلال تلك الحرب الدامية، التي دمرت المكان والإنسـان معًا، وتدمير المكان - لا ريب- منوط بتدمير الإنسان ثقافة وعلمًا، وهذا ما جسّدته الحرب العالميّة الأوَّلى، فقد خيّم الجهل عـلى عقول كثير من البشر، نتيجة لتدمير آلة الحرب لمصادر العلم والثقافة كلها، من مدارس ودور العلم وكنائس وغير ذلك[2].

لقد أوقفت هذه الحرب الدامية تدفُّق الماء في مجرى الحياة، ومنعت نور العلم والثقافة من السطوع والإشراق، وأثبتـت أنَّ أوروبـا لم تُقدر العلـم حق قدره، فكانت عواقب ذلـك وخيمة على المجتمع الأوروبي كله، حيث عمَّ الجهل والتخلف لفترة غير قصيرة، وسـادت الاضطرابات في مفاصل الدُّول المُشـاركة في هذه الحرب الهوجاء.

المطلب الثالث: النَّهب والسّلب الأوروبيان

لم تكن الحرب العالميّة الأوَّلى حربًا تقتصر في قتلها على الجيوش فحسب، بل حصدت الكثير من الناس الأبرياء وبطرق متنوعة، فمنهم من مات جوعًا ومنهم من مات خوفًا ومنهم من مات خنقًا، حيث هلك في ساحات المعارك ثمانية ملايين من البشر، بسبب النَّهب والسّلب اللذين أدَّيا إلى الجوع، حيث انتشرت أمراض الكوليرا القاتلة، ففي بولندا مثلاً، اضطر الفلاحون إلى أكل الحشائش، وفي ألمانيا كان عدد المواليد عام 1918م، أقل من عدد الوفيات بسبب الجوع ونقص التغذية، أما في النَّمسا، فقد كانت المجاعة واضحة بين العمال وأسر الفقراء، بسـبب تعطـل المصانع لعدم وجود الفحم والمواد الخام، فمن الصعب هنا - والحال كذلك- رسم صور التعاسة والقنوط اللذين أنجبتهما هذه الأحوال الفظيعة[3].

كـما حاولـت ألمانيا طمسَ معالم حضارة الـدُّول المتحاربة معها، وتجلَّى ذلك في سـلب القوات

1 - هايمان، 2011، ص233

2 - فيشر، 1972، ص542

3 - فيشر، 1972، ص548

الألمانيّة المتحف الوطني في بولندا ونهب جميع قطع الآثار المعروضة فيه. كما نهبت القوات الألمانيّة جميع القطع الفنية من فرنسا التي كانت تحظى بالقسم الأكبر من كنوز أوروبا آنذاك، ولاسيما من متحف اللوفـر، وكان ذلـك بأوامر من هتلر. وهناك تقريـرٌ سريٌّ ألماني يوضح طبيعة وكميـة النَّهب الألماني للتحف الفنية الفرنسيَّة، حيث إن (137) حافلة شحن تحمل (4174) صندوقًا يضمُّ حوالي (21903) من التحف نُقلت إلى ألمانيا عام 1943م، وقُدرت قيمة هذه التحف المسروقة بحوالي بليون مارك فرنسي.

وكان هـدف ألمانيا من هذا السّـلب والنَّهب المُمنهج، إفقار فرنسـا حضاريًّا، والعمل على إلحاق المجاعة بهم نتيجة سـلب الأموال ونهبها، والحقيقة أنَّ هتلر لم يكن في حاجة إلى القطع الفنية لإدارة الحرب، لكن هذا التصرف منه يؤكد الشراهة والطمع التي تميز بها الألمان، ويدلُّ على وحشيّة مختلفة عن وحشـيّة القتل والدمار، وهي أشـدُّ فتكًا بحضارة الشّـعوب وطمس معالمها[1].

وممَّا هو جدير بالذكر، أنه وبعد الانتهاء من حرق الجثث في معسكرات الإبادة، كان الجنود يقومون بتفتيـش أكوام الجثث بحث عن المواد الثمينة، فبعد جمعها وفرزها، كانوا يصهرون الذهب، ويبعثون به مع باقي المجوهـرات الأخرى التي عُثر عليها مع الضحايا إلى مصرف الرايخ في ألمانيا، وكان من بين المواد المسـلوبة الأسنان الذهبية والأقراط والأسـاور، والخواتم والقلادات وإطارات النَّظارات، وعدد كبير من المجوهرات، لاسـيما الألماس والفضة، إضافة إلى الأوراق النقدية، كلّ ذلك كان بين عامي 1941 - 1942م، كما وضحت رسـالة وجهت للبنك المركزي في المانيا مؤرخة بـ 15 أيلول عام 1944م، ضمت قائمة بسلسلة طويلة من المواد بينها (154) ساعة ذهبية و(1601) من الأقراط الذهبية، و(132) من الخواتم الألماسـية، و(784) من ساعات الجيب الفضية، و (160) حشوة أسنان ذهبية[2]. وواضحٌ ممَّا سـبق، أنَّ الدُّول الأوروبية طغى عليها سـمتا: النَّهب والسّلب، وهذا ليس بجديد عليها، فسـمة السرقة كانت ومازالت ترافقها حتى تاريخنا هذا.

المطلب الرابع: تدمير البنى الإنتاجية

عملت القوات الألمانيّة على تدمير البنى الإنتاجية التي أصبحت تحت سيطرتها، ظهر ذلك عندما ألقت بقذائفها المتفجرة على المدن الساحلية البريطانية عام 1940م، كما ركَّزت تلك القوات هجومها

1 - شيرر، 1963، ج4، ص24-26

2 شيرر، 1963، ج4، ص76

على القوافل التجارية والمطارات ومصانع الطائرات في بريطانيا، حيث وصل عدد القتلى إلى ما يقارب عشرة آلاف شخص. ثم وجَّهت القوات الألمانيّة ضربات موجعة للسفن البريطانية المحملة بالأغذية والمواد الخام اللازمة للحياة، هذا، وكانت الطائرات الألمانيّة تقوم بضرب وإلقاء القنابل الممغنطة على الموانئ البريطانية[1]، بهدف شـلِّ كل البنى التحتيـة والإنتاجية، وهذا ما دمَّر الأرزاق المادية والموارد البشرية على مستوى لم يسبق له مثيل.

لقد كانت نفقات الحرب باهظة، والخسـائر المادية كبيرة، فقد أصاب الدمار المسـاكن والمصانع ووسـائل النقل والمزارع، وانقلبت معظم الدُّول الأوروبية، من دول مُصدِّرة، إلى مستهلكة ومستوردة بسبب الحرب[2].

ومن صور الوحشـيّة الأوروبية اتّجاه البنى التحتية وتدميرهـا، في الحرب العالميّة الثَّانية، أنّ دول المحور والحلفاء، تراءى لهم بأنَّ تدميرَ المنشآت ومعامل تكرير النفط والمصانع والسكك الحديدية لكل طرف منهما، سيشلُّ الجهودَ الحربية للطرف الآخر، ويُحطِّم الروح المعنوية له بهدف إجباره على الاستسـلام، حيث تعرَّضت بريطانيـا لغارات جوية خاطفة بين عـام 1940 - 1941م، بينما تمَّ قصف ألمانيا بشـكل متكرر منذ عام 1942م، ممَّا أدَّى إلى مقتل الآلاف، وتدمير المباني القديمة والمنشآت الصناعية[3].

كما لوحـظ من مجريات الأحـداث، في الحربين العالميّتـين، أنَّ الدُّول الأوربية كرَّسـت عتادها العسكري لتدمير البنى التحتية والتعليمية وشلِّ حركة الحياة فيها.

1 - شوقي، 2000، ص271
2 - معدي، 2011، ص53
3 - آدامز، 2011، ص22

خاتمة

في الختام، يمكن إجمال ما ورد في البحث من نتائج، وفق الآتي:

لوحظ أنَّ الحربين العالميّتين الأوَّلى والثَّانية، قد أظهرتا صور الوحشيّة المفزعة بكل أنواعها وأساليبها المختلفة، ولربما كان أبرزها، قتل عدد كبير من المدنيين والعسكريين في المعتقلات، وإبادتهم شرّ إبادة، ويأتي في مقدمات تلك الجرائم النكراء، ما يتعلَّق باستخدام أنواع من الغازات السّامة، من مثل: غاز الخردل القاتل، وغاز الباسيلي الذي يحتوي على جرثومة قاتلة، وغاز الكلور الذي يُسبِّبُ الاختناق، وعدم القدرة على التنفُّس، وغاز السَّارين الذي يسبِّبُ تشوُّهات مستديمة في الجسد البشري، قبل أن يُودي بحياة الشخص، فضلاً عن استخدام غرف الغاز القاتلة بحقّ الأسرى الأبرياء، وهذه الغازات كلُّها تُنبئ عن شيءٍ واحد، وهو تجذُّر الوحشيّة في نفوس الأوروبيين.

ومن الصّور المخيفة التي أظهرتها الحربان العالميتان تجاه البشر، المجازر التي ارتكبها الأوروبيُّون بحق الأبرياء داخل الكنائس والسجون، بلا تردد أو تباطؤ، وكان هدفها – ولا شك- القضاء على الجنس البشري في تلك المناطق التي مرُّوا فيها، فما أبقوا على حجر ولا بشر.

وتجدر الإشارة إلى ما تميز به الأوروبيُّون في الحربين الأوَّلى والثَّانية، من انحطاط وانحدار أخلاقي غير مسبوق، فقد انعدمت الأخلاق، وفُقدت الإنسانيّة، وتجلى ذلك واضحًا - في هذا البحث -، من خلال قتل الجنود للأطفال والنساء في الكنائس والمشافي، بالإضافة إلى رميهم بعد وفاتهم من نوافذ القطارات التي كانت تُقلّهم، بلا رحمة ولا شفقة، وهذا يُشكِّلُ أعلى درجات الوحشيّة التي لا يقوم بها إلَّا هُم.

كما تسبَّبت الحربان العالميتان بمشاكل نفسية لكثير من النساء والأطفال والشيوخ، نتيجة الممارسات الوحشيّة بحقهم في معسكرات الاعتقال، تجلّت بحرق الأطفال، والتمثيل بجثث النساء والرجال.

لقد كانت الحربان ساحةً لا يُرى فيها إلّا الموت والدمار والنزوح، إذ اضطر كثير من الأفراد إلى التخلي عن ممتلكاتهم أو التنازل عنها دون تعويض، والانتقال إلى أماكن أخرى لم تكن بأفضل حال مما كانت عليه منازلهم، وهذا أسهم في تشتّت العائلات وتشرذمها وتمزقها شر ممزق، وفقدَ العديد من الأطفال آباءهم، هذا فضلاً عمَّا أصاب الأطفال الصغار، من هول وخوف ورُعب، ناتج عن تلك المعارك والاشتباكات في المناطق نفسها التي يقطنون فيها.

قائمة المصادر والمراجع

■ إبراهيم، ن. (2021) الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحرب العالميّة الأوّلى، مجلة ديالى، العدد9.
■ آدامز، و. (2011)، ت: مروة رشاد عبد الستار، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر.
■ آل طويرش، م. (2017) العالم المعاصر بين الحربين من الحرب العالميّة الأوّلى إلى الحرب الباردة 1914-1991م، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط2، مصر.
■ الجمل، ش. و عبد الرزاق، ع. (2000) تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، ط1، القاهرة.
■ شو، م. (2017) الإبادة الجماعية، مفهومه، وجذورها، وتطورها، وأين حدثت..؟، ت: محيي الدين حميدي، مؤسسة العبيكان، ط1، الرياض.
■ شيرر، م. (1962) نشأة وسقوط الرايخ الثالث، تعريب: خيري حماد، منشورات مكتبة المثنى، ط1، بغداد.
■ فيشر، م. (1972) تاريخ أوربا في العصر الحديث 1789-1950م، ت: أحمد نجيب هاشم، دار المعارف، ط1، مصر.
■ كارتيه، ر. (1983) الحرب العالميّة الثّانية 1942-1945م، ت: سهيل سماحة، وانطوان مسعود، جزآن، مؤسسة نوفل للتوزيع والنشر، ط2، بيروت.
■ كلثوم، م. (2018) جريمة الإبادة الجماعيَّة ضد مسلمي البوسنة والهرسك ودور المحكمة الدُّولية الجنائية في محاكمة مجرمي الصرب، رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر.
■ معدي، س. (2011) دار الحرم للتراث، ط1، القاهرة.
■ نوار، ع. وجمال الدين، م. (1999) التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالميّة الأوّلى، دار الفكر العربي للنشر، ط1، مصر.
■ هايمان، ن. (2012) سلسلة الحياة اليومية عبر التاريخ" الحرب العالميّة الأوّلى، ت: حسين عويضة، مشروع كلمة، ط1، السعودية.

باللغة الانجليزية

■ Breitman, R. and Goda, N. (2010) Hitler's Shadow, Nazi War Criminals, U.S. Intelligence, And The Cold War, Published by the National Archives.
■ Harrison, L. and Beyer, C. (1946) Nazi Conspiracy and Aggression, (Vol. 1), United States Government Printing Office Washington.
■ Kesternich, I. (2012) The Effects of World War II on Economic and Health Outcomes across Europe IZA DP No. 6296.
■ https://www.ushmm.org/m/pdfs/20010322historyofholocaust.pdf